المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية – جامعة سيدي بلعباس
ISNN : 2170-0060 EISSN : 2602-523X
المجلد 08 -- العدد 01 -- جوان 2017 ص 169 - 185

الاستراتيجية الإعلامية الجزائرية لمواجهة الظاهرة الإرهابية

Algeria's Media Strategy Against the 'Terrorism Phenomenon'

طالب دكتوراه أسامة إفراح Doctorant. Oussama Ifrah ifrahoussama@gmail.com	الدراسات الاستراتيجية	مخبر دراسات وتحليل السياسات العامة بالجزائر - كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية . جامعة الجزائر 3 - الجزائر

DOI :

ملخص

رغم مختلف الجهود البحثية، ما يزال مفهوم الإرهاب دون تعريف دقيق متفق عليه، وإن توصّل الدارسون إلى خصائص مشتركة بين التعريفات المختلفة. هذا "التضخم الإتيمولوجي"، إلى جانب الارتباط الوظيفي والعلاقة التعايشية بين الإعلام والإرهاب، صعّب التعامل الإعلامي مع المعلومات المتعلقة بالظاهرة الإرهابية.

من جهة أخرى، نجد أن التعامل الإعلامي مع الظاهرة الإرهابية يضع في كفّة حرية التعبير وضرورة نشر المعلومة كما هي، وفي كفّة أخرى أولوية المصلحة العليا وحماية الأمن القومي، وما ينجرّ عن ذلك من تدابير استثنائية.

وفي ظلّ المقاربات النظرية، التي أكدت على أن الظاهرة الإرهابية ظاهرة إعلامية بامتياز، ومن أجل الحؤول دون تحوّل وسائل الإعلام أداة تخدم الإرهابيين، أو ما يوصف بـ"الرابط التعايشي"، وجب على الدول اعتماد استراتيجية إعلامية لمواجهة الإرهاب، بما في ذلك التدابير الاستثنائية في مسار الأمننة لمواجهة خطر وجودي يهدد الكيان المرجعي (الدولة) حسب رؤية مدرسة كوبنهاغن. في هذا السياق، يحاول هذا المقال تسليط الضوء على ملامح الاستراتيجية الإعلامية التي اعتمدتها الجزائر، بداية من تسعينيات القرن الماضي، في مواجهة الظاهرة الإرهابية، وكيف يمكن الاستفادة من هذه التجربة اليوم، في ظلّ ما يشهده العالم من تحوّلات جيوسياسية وسوسيوثقافية عميقة.

الكلمات المفتاحية: إرهاب؛ إعلام؛ استراتيجية؛ أمن قومي؛ الأمننة.

Abstract

Despite various research efforts, the concept of terrorism is still without a precise and agreed definition, even though researchers find common characteristics between the different definitions.

This "etymological inflation" --along with the functional connection and coexistence between the media and terrorism - made it difficult for the media to deal with information related to the 'terrorist phenomenon'.

This question confronts us with a twofold issue: the need for freedom of expression, and the urge to maintain the nation's supreme interest and to safeguard national security.

Theories tend to confirm that 'the terrorist phenomenon' is as well 'a media phenomenon', and that media could become a tool in favour of terrorists. Therefore, states facing this 'existential threat' are in the obligation of adopting some exceptional measures according to the Copenhagen School.

It is within this framework that this article attempts to highlight the characteristics of Algeria's media strategy to counter terrorism since the 90s of the last century, and how any advantage could be taken from it to face today's world profound geopolitical and socio-cultural transformations.

Keywords: Terrorism; media; strategy; national security; securitization.

مقدمة

في نظريته الاتصالية للإرهاب، انطلاقا من زاوية "الدعاية عن طريق الفعل"، وجد ألكس شميد Schmid (Schmid, 2011) أن لكلّ من العنف والدعاية قواسم مشتركة كثيرة، إضافة إلى رمزية انتقاء الأهداف الإرهابية، ما دفع العديد من الدارسين إلى التحذير من تحوّل وسائل الإعلام إلى "حليفة للإرهابيين" عمدا أم عرضا، عبر الدراما التي تضفيها التلفزيونات كما يقول بورديو، أو عبر ما يسمّى "العلاقة الوظيفية بين الإرهاب والإعلام"، التي تتحول فيها وسائل الإعلام إلى "مكبرات صوت" للإرهابيين.. دون إغفال آثار ثنائية الإرهاب/الإعلام على النفسية الجماعية، وتشكيل التمثيلات الاجتماعية بمفهوم موسكوفيسي.

ورغم هذا الاتفاق على الجانب الاتصالي للظاهرة الإرهابية، ظلّ مفهوم الإرهاب دون تعريف متفق عليه، وانعكس هذا التضارب على محاولات التصنيف والتعرّف على مسببات هذه الظاهرة وديناميكياتها، ما يجعل دراسة التعامل الإعلامي مع هذا المفهوم "المطّاط" ذات أهمية بالغة.

وفي ظلّ هذه المقاربات النظرية، التي أكدت على أن الظاهرة الإرهابية ظاهرة إعلامية بامتياز، جاءت التجربة الجزائرية جديرة بالدراسة والاهتمام.. ولعلّ محاولة التعرّف على استراتيجية إعلامية جزائرية، في فترة محددة كانت الحرب على الإرهاب في أوجها في البلاد، قد تساعد على فهم أحسن للاستراتيجية الواجب اتباعها بالنظر إلى المتغيرات الجيوسياسية والسوسيوثقافية الحالية، سواء على المستوى الوطني أو الدولي. في هذا السياق، يحاول هذا المقال الاقتراب من هذه التجربة، والإجابة عن إشكالية: **"ما هي ملامح الاستراتيجية الإعلامية التي اعتمدتها الجزائر في مواجهة الظاهرة الإرهابية؟"**

1. إشكالية الاتفاق على تعريف للإرهاب

ما يزال العجز عن إيجاد تعريف جامع ومتفق عليه لمفهوم الإرهاب يقف حجر عثرة في وجه هذه الظاهرة الدولية، التي تتسّم بالتعقيد وعدم الثبات، والتداخل مع مفاهيم مشابهة على غرار الجريمة المنظمة، والتطرف العنيف، بل وحتى الخلط بينها وبين المقاومة المشروعة.

ونلاحظ جليّا هذا التخبط في نشرات الأخبار، حيث تحتار وسائل الإعلام في كثير من الأحيان بين ضرورة اعتبار جريمة ما عمليّة إرهابية، أو مجرّد جنحة من الجُنح، خاصة وأن لكلّ واحد منهما آثاره وتبعاته المختلفة تماما على الرأي العام الداخلي والدولي.

ليست الظاهرة الإرهابية حديثة النشأة، وقد سجّل التاريخ محطات كثيرة تمّ فيها اللجوء إلى الإرهاب ومختلف وسائله، من اغتيالات وتصفية وتخويف وتهويل. وحتّى وإن تطوّرت وسائل الإرهاب وأدواته وأشكاله فإنه يبقى مجرّد سلاح قديم يُستخدم باستعمالات جديدة (Williams, 1981) ورغم ذلك، لم يبلغ تعريف الإرهاب التطور المنشود بالسرعة المطلوبة، ولا يتعلق الأمر بالكمّ ووفرة التعاريف، بل على العكس في وفرتها دون أن الوفاء بالغرض القانوني، وحتى هذه الأخيرة تفتقر في معظمها إلى "الغموض الضروري للقبول السياسي" (راشد، 2006).

وتتعدّد تعريفات الإرهاب بتعدد القوانين الداخلية للدول، وحساباتها السياسية، والأحلاف والتكتلات الإقليمية، كما تتعدّد على المستوى المعرفي باختلاف التخصصات

الأكاديمية، ما يجعل توظيف مصطلح الإرهاب متضاربا في أحيان كثيرة، وخاضعا لاعتبارات غير موضوعية، مصلحية وظرفية. بعبارة أخرى، فإن المشكلة الأساسية التي قد يواجهها المجتمع الدولي في هذا الصدد، تتعلق بخلوّ القانون الدولي من تعريف جامع و"مقبول دوليا" للإرهاب.

في كتابه عن الإرهاب السياسي، وسعيا إلى تحديد مفهوم الإرهاب، أجرى ألكس شميد Schmid استبيانا على مائة دارس وخبير في المجال، لتحديد مفهوم الإرهاب، وتوصل إلى وجود عناصر مشتركة في التعريفات التي قدمتها العينة محلّ الدراسة، وهي أن الإرهاب مفهوم مجرّد بلا كنه محدّد، وأن التعريف المفرد للمصطلح لا يمكن أن يحصي استخداماته الممكن، وأن العديد من التعريفات تشترك في بعض العناصر، وأن معنى الإرهاب ينحصر عادة بين هدف وضحية.

ومن بين التعريفات نذكر ما جاء في "الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب" لسنة 1998، التي عرّفت مادتها الأولى الإرهاب على أنه: "كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أيّا كانت بواعثه أو أغراضه، يقع تنفيذا لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، يهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر، أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة، أو احتلالها أو الاستيلاء عليها، أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر". ولعل التعريف المتفق عليه عربيا، قد تميّز عن التعريفات الأخرى التي رأيناها بالتأكيد على حق الكفاح المسلح ضد الاحتلال الأجنبي، وذلك من خلال المادة الثانية للاتفاقية، التي اعتبرت في شطرها الأول أنه "(أ) لا تعد جريمة، حالات الكفاح بمختلف الوسائل، بما في ذلك الكفاح المسلح ضد الاحتلال الأجنبي والعدوان من أجل التحرر وتقرير المصير، وفقا لمبادئ القانون الدولي، ولا يعتبر من هذه الحالات كل عمل يمس بالوحدة الترابية لأي من الدول العربية".

وفي 2004، تمّ تعديل الشقّ الأول من تعريف الاتفاقية للجريمة الإرهابية، بإدراج "التحريض على الجرائم الإرهابية أو الترويج لها أو تحبيذها، وطبع أو نشر أو حيازة محررات أو مطبوعات أو تسجيلات أيا كان نوعها إذا كانت معدّة للتوزيع أو اطلاع الغير

عليها، وكانت تتضمّن ترويجا أو تحبيذا لتلك الجرائم". (مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة، 2009)

تصنيفات متعددة لمفهوم واحد: كان تعدّد المعايير في تصنيف الإرهاب سببا في تعدّد التصنيفات نفسها، ولكن مع نهاية الحرب الباردة، واعتبار الإرهاب الدولي من أهمّ التهديدات الصلبة للأمن القومي للدول، ظهر مفهوم "الإرهاب الجديد"، للتعبير عن عمليات إرهابية تمتازها عن سابقاتها بارتفاع عدد الضحايا والقدرة التدميرية. ولا تسعى عناصر "الإرهاب الجديد" إلى جلب الانتباه فقط، بل إلى إسقاط أكبر عدد ممكن من الضحايا، بمعنى أنه لم يبقَ مجرّد وسيلة لتحقيق أهداف معينة، بل غاية في حدّ ذاته.

تبنّى هذا المصطلح عدد من دارسي الظاهرة الإرهابية، الذين يستندون إلى إحصائيات كتابة الدولة الأمريكية للخارجية ومؤسسة "راند"، التي أشارت إلى تزايد جماعات الإرهاب الديني وتزايد فتك الجماعات الإرهابية. ومن بين هؤلاء نذكر بروس هوفمان Bruce Hoffman، ريتشارد فانكلهارث Richard Fankelharth، وجيمس كامبل James Campbell، أما والتر لاكيور Walter Laqueur فيستعمل مصطلح "الإرهاب ما بعد الحداثي postmodern terrorism" (Mégie, 2010). أما هوفمان فيميّز بين الإرهاب التقليدي (غير الديني) والإرهاب الجديد "الديني"، ويعتقد بكون الإرهاب الديني هو الأعنف، كما أن عناصره وأتباعه لا يرجون المنفعة سوى لمن يشترك معهم في المعتقد، ولا يرون أنفسهم مكوّنا من مكونات النظام القائم، الذي يعتبرونه فاسدا ويجب إحلال نظامهم بدلا منه (راشد، 2006). كما تمتاز جماعات الإرهاب الجديد في جانبها التنظيمي، في شكل شبكات عالمية عابرة للحدود، يتكون كلّ منها من خلايا صغيرة العدد، إما منفصلة وشبه مستقلة لا رئاسة لها ولا قيادة مركزية، أو من وحدات تعمل معا دون أن تشرف عليها قيادة مركزية، أو يكون لها قيادات متعددة، يمتاز أفرادها بالتقارب الفكري، حتى وإن تعدّدت جنسياتهم.

وقد حاول كلّ من آركيلا Arquilla ورونفلت Ronfeldt تلخيص الأنواع الأساسية للشبكات الإرهابية (Schmid, 2011)، وصنفاها إلى ثلاثة أنواع كما يظهر في الشكل، هي "شبكة جميع القنوات All-channel network"، التي تتشابك فيها الروابط والعلاقات،

والشبكة النجمية، التي ترتبط وحداتها بمركز، والشبكة المتسلسلة التي ترتبط فيها كل وحدة بالتي قبلها والتي تليها فحسب.

تصنيف آركيلا ورونفلت للأنواع الأساسية للشبكات الإرهابية

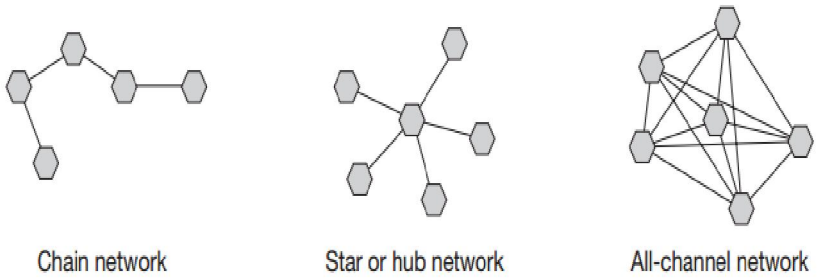

المصدر: (Schmid, 2011)

لم يسلم تصنيف "الإرهاب الجديد" من الانتقادات، خاصة وأنه يعتمد إحصائيات ناقصة (إحصائيات "راند" ومركز دراسات الإرهاب والعنف السياسي بسان أندروز) اقتصرت على حوادث الإرهاب الدولي (راشد، 2006)، وأغفلت الأعمال والأنشطة الإرهابية الداخلية، التي كان المسؤول عنها جماعات إثنو قومية وليس جماعات ذات طابع ديني. وحتى وإن كان الإرهاب الديني يمثل اللون الغالب في توجهات الظاهرة الإرهابية في القرن الحادي والعشرين، إلا أنه لا يجب المبالغة في تصوير هذا الخطر، يقول بول ولكنسون، فقد عمدت جماعات ومنظمات "غير دينية" إلى ارتكاب عمليات خلفت خسائر جسيمة، لذا فلا يمكن القول إن الجماعات الدينية المتعصبة هي الوحيدة التي يمكن أن تتعصب لقضيتها (Wilkinson, 2011) أو تتسبب في خسائر كبيرة ماديا وبشريا.

كما تشهد محاولات تحديد دوافع ومسببات الظاهرة الإرهابية قصورا هي الأخرى، خصوصا وأن علم اجتماع الإرهاب لم يحظ بالدراسة اللازمة (Turk, 2004)، وقد يكون هذا القصور عائدا إلى كون مفهوم الإرهاب مفهوما محمّلا بالقيمة، متأثرا بالآراء والأفكار الشخصية، مثيرا للجدل، ومشحونا عاطفيا (Berkouk, 2008). ومن المحاور التي يجب أن تبنى عليها الدراسات الاجتماعية للإرهاب، يذكر تيرك (Turk,

(2004 "البناء الاجتماعي للإرهاب"، و"دراسة الإرهاب باعتباره "عنفا سياسيا"، ودراسة الإرهاب باعتباره "عملية اتصال" terrorism as communication.

2. العلاقة الوظيفية في ثنائية الإعلام/الإرهاب

قد لا تهدف الأعمال الإرهابية ضدّ المدنيين إلى إيقاع الضحايا وإحداث الخسائر فحسب، بل تسعى التنظيمات الإرهابية عادة إلى ضمان دعاية واسعة لعملياتها. ومن دون أن تدري، قد تجد وسائل الإعلام نفسها حليفة لهذه التنظيمات (غريفيثس و أوكالاهان، 2008). ويحمل مفهوم الإرهاب معنى "الرهاب"، ويعتمد على الذعر والرعب من جهة، والعمل على نشر القضية من جهة أخرى، عكس الحروب النظامية التي ترمي إلى احتلال الأرض أو تدمير قوات العدو (بوادي، 2007)، وهي رؤية صحيحة إلى حدّ ما قبل ظهور ما يُعرف بـ"التنظيمات الإرهابية الهجينة".

وتوجد أوجه شبه كثيرة بين الدعاية والعنف، فكلاهما يسعيان إلى تعديل السلوك وتغييره، إلا أن الدعاية ترمي إلى ذلك بالإقناع بينما يحقق العنف ذلك بقوة الإكراه (Schmid, 2011)، ويظهر جليّا من عنوان كتاب شميد Schmid "العنف كاتصال: الإرهاب المتمرد ووسائل الإعلام الغربية" أن الباحث ينظر إلى الظاهرة الإرهابية من منظور اتصالي، وقد بنى نظريته اتصالية للإرهاب على منطلقات الإرهابيين أنفسهم، الذين ينظرون إلى الإرهاب من زاوية "الدعاية عن طريق الفعل"، وهو الشعار الذي رفعه الأناركيون بداية من القرن التاسع عشر (Fleming, 1980). وبالعودة إلى العنف والدعاية، فإن شميد ينظر إلى الإرهاب على أنه مزيج من الاثنين.

في نظر هوفمان، فإن فرص الإشهار والدعاية الكبيرة هي ما يجعل الإرهاب الدولي يرى في دولة كالولايات المتحدة الأمريكية هدفا مفضلا لعملياتها، ما يؤكد وجود رابط وظيفي بين الإرهاب والإعلام (Mannoni & Bonardi, 2003) يصفه بروس هوفمان بـ"الرابط التعايشي"، خصوصا وأن التنظيمات الإرهابية تعتمد على ما يسميه بورديو Bourdieu عامل "الدراما Dramatisation" التي تضفيها وسائل الإعلام على مختلف الأحداث، بما في ذلك العمليات الإرهابية. كل هذا لخّصه والتر لاكيور Laqueur في اعتبار الإعلام والصحافي هما أفضل صديقين للإرهابي، وهو استنتاج سليم لِما للإعلام من دور خطير في عرض الأعمال الإرهابية على الرأي العام الداخلي والدولي، خصوصا وأن أهمية

أي عمل إرهابي تقاس بمدى ما يحصل عليه من تغطية إعلامية (اللحام، الشمايلة، و كافي، 2015).

تتوافق فاعلية الإرهاب بشكل طرديّ مع قدرة وسائل الإعلام، ويعتمد كلّ من إفشاء الذعر ونشر القضية، وهو ما يهدف إليه التنظيم الإرهابي، على أمرين: قدرة وسائل الإعلام على نشر الحدث وإذاعته، ورغبة وسائل الإعلام في نشر الحدث الإرهابي (عبدالحميد، 2014).

ويعتمد الإرهابي على تجاوب وسائل الإعلام معه، وليس ضروريا أن يكون هذا التجاوب نتيجة تعاطف، فالأهم هو أن تنقل وسائل الإعلام رسالة الإرهابي إلى أوسع قطاع من الرأي العام، ويعتمد الإرهابي على غريزة الصحافي في إبراز المثير من الأخبار، ومن هنا يأتي تعمّد القيام بالعمليات الأكثر إثارة التي تفرض نفسها في الصفحات الأولى من الصحف ومطلع النشرات التلفزيونية والإذاعية (اللحام، الشمايلة، و كافي، 2015).

ومع تسارع الأحداث والسعي وراء السبق، وانتقال المعلومة وانتشارها بسرعة فائقة بفضل وسائل الاتصال الحديثة، فإن المعلومات الأمنية عموما، والمتعلقة بالإرهاب على وجه الخصوص، قد يتمّ نشرها بشكل آني دون نقد ذاتي أو تمحيص، وهو ما تستفيد منه التنظيمات الإرهابية الباحثة عن الدعاية. هذا في حال ما إذا اعتبرنا أن الوسيلة الإعلامية تتقيّد بأخلاقيات المهنة، ففي بعض الأحيان، قد يتمّ تجاوز أخلاقيات المهنة الصحفية سعيا وراء التنافسية. ومن الأمثلة على ذلك، محاولة بعض الصحف والقنوات التلفزيونية اليونانية، عقب هجمات 11 سبتمبر، زيادة حصتها من الجمهور وأرباح الإعلانات على حساب المعايير المهنية، وفقا لبيان صادر عن المجلس التنفيذي لاتحاد صحافيي الصحف اليومية بأثينا، الذي قام بالتحقيق مع القناة التلفزيونية "تيمبو Tempo"، بتهمة فبركة تقرير زعمت القناة أنه آتٍ مباشرة من أفغانستان، وادّعت بأنه "انفراد عالمي". كما أدان المجلس تحيّز التقارير الإخبارية (Warren, 2003).

من جهة أخرى، فإن وسائل الإعلام، بنقلها المعلومات والأخبار المتعلقة بالعمليات الإرهابية، تنقل جزءً من المكوّنات اللغوية والرمزية للإرهاب، وهي رموز ومفردات قد يتبناها المتلقي، وتتحوّل إلى تعاريفه الرسمية للواقع الاجتماعي، فالكلمات لها تأثير في

تحديد الأفكار، واللغة لا تعكس الواقع الموضوعي فحسب، بل تخلق واقعا من خلال تنظيمها للمعاني المجرّدة، وأداة يشكّل ويفسّر بها المتلقي بيئته (خضور، 2009).

ما يحدث هو محاولة التنظيمات الإرهابية "فرض" لغتها ومصطلحاتها الخاصة على الإعلام، الذي يعتمدها لصياغة مادته، في قالب يسهل على المتلقي استيعابه. هذا التبنّي والتوظيف للمصطلحات يسهّل تقبّلها مع الوقت، وتصير هذه اللغة هي المعتمدة للتعبير عن النشاطات الإرهابية. بقيامها بهذه الوظيفة، تتحول وسائل الإعلام، عن قصد أو عن غير قصد، إلى ما يصفه ألالي Alali بـ"مكبرات الصوت لخطب الإرهابيين" (خضور، 2009).

آثار تغطية الإرهاب على النفسية الجماعية: خلصت التجارب الاكلينيكية التي قام بها كل من مانوني Mannoni وبوناردي Bonardi إلى أن وسائل الإعلام بتغطيتها للإرهاب تؤثر نفسيا على الرأي العام حيث تخلق تشويشا لديه يؤثر بدوره على التصرفات والأحكام، ويمسّ منظومة القيم وحتى الرابط الاجتماعي (Mannoni & Bonardi, 2003). ومن خلال دراستهما للتأثير النفسي لوسائل الإعلام على الرأي العام فيما يتعلق بالإرهاب، لخّص الباحثان هذه الآثار النفسية في الذهان، والدعايات.

تميل وسائل الإعلام، في معالجتها للمعلومات والأخبار، إلى خلق إحساس بوجوه قطبين متناحرين يقفان على طرف النقيض. وهذا ينقلنا إلى الحديث عن التصورات والتمثلات الاجتماعية وهي المعرفة العملية التي تسمح بتحديد المحيط والتحكم فيه، وتنظّم الآراء، والمواقف، والقيم، والمعتقدات، والتصورات المتعلقة بموضوع ما. ويحدد موسكوفيسي Moscovici ثلاثة شروط تتحكم في هذه التصورات، أولها توزيع المعلومة في المحيط، وثانيها التركيز أي اختيار المجموعة الاجتماعية للجوانب التي تتماشى مع اهتماماتها، أما الشرط الثالث فهو الدفع نحو الاستدلال، ويتمّ ذلك بإعادة بناء ترابط منطقي. وتساهم وسائل الإعلام في صناعة هذه التصورات، وتحويرها وتعديلها، وتقدّمها لمجموع المتلقين بشكل عام وموحّد، قبل أن تقوم كلّ مجموعة ببناء تصوّرها الخاص بها. بمعنى أن المتلقي للمعلومة الأمنية ذات العلاقة بعملية إرهابية ما، لن يقوم بالضرورة بالرفض أو النبذ، بل قد تكون ردّة فعله المساندة والتعاطف، وهذا وفقا لتراكمات تجاربه الشخصية ومسار الاستدلال الذي بنى على أساسه تصوّره للموضوع.

وإذا كان دوركهايم قد أعطى للتصورات الاجتماعية أهمية كبيرة، كونها تترجم تماسك المجتمع وتجانسه من خلال تصورات موحدة لذات الموضوع، فإن موسكوفيسي يقلل من هذه الأهمية حينما يربط بين التصورات الاجتماعية وجماعات بعينها داخل المجتمع، وليس الجسد الاجتماعي بأكمله (Mannoni & Bonardi, 2003) ما يعطيها تنوعا أكبر.

وكما فعل روّاد مدرسة كوبنهاغن، على غرار بوزان وويفر، في مقاربتهم للأمننة، لجأ دانيال دايان Dayan إلى نظرية أفعال الكلام لدى جون أوستين Austin، مبيّنا أنه كما يكون للكلمات أثر الأفعال، فإن للصور أثر مشابه. وعملية العرض قد تزاوج بين الإظهار L'ostension والإثبات La preuve حسب تعبير عالم الاجتماع كلود روزنتال Rosental. ويؤكد دايان على ضرورة معرفة ليس فقط ما تقوله الصور وإنما ما تفعله مختلف الفضاءات العمومية (بمفهومها الهابرماسي) بما تقوله هذه الصور (Dayan, 2006).

المعلومة الأمنية ومسألة الرقابة Censorship: لا يمكن الفصل بين الحديث عن ثنائية الإعلام/الإرهاب، وجدلية النقاش حول قداسة المعلومة وحرية التعبير من جهة، ومن جهة أخرى الرقابة على المعلومة بداعي المصلحة العليا والأمن القومي. وقد عبّر تيري آندرسون عن هذا الخيار الصعب، وهو الصحفي الذي وجد نفسه مختطفا حين تغطيته الحرب الأهلية في لبنان ثمينانيات القرن الماضي: "حينما تكون أرواح في خطر، قد يكون من الضروري على الصحفي ضبط النفس. في بعض الحالات، سيكون من الضروري أن يتم إيصال المعلومة حتى لو كانت النتيجة هي فقدان الحياة. وفي حالات أخرى، فإن على الصحفي أن يختار ما إذا كان سيكشف أو يؤخّر أو يخفي المعلومة. في كل حالة، يجب على الصحفي أن يسأل نفسه: هل يجب أن أنقل هذا إذا كان يشكّل تهديدا لإنسان؟" (Anderson, 1993).

ولكن الأمر ليس متروكا دائما إلى ضمير الإعلامي ورقابته الذاتية على مادّته الإعلامية، بل يمكن إيجاد أمثلة عن تدابير رسمية لتقييد حرية التعبير، إذ يجوز ذلك بموجب القانون الدولي، ولكن فقط إذا كانت التدابير المتخذة تستجيب لشرط صارم من ثلاثة أجزاء: أولا، يجب أن يكون التدخل قد نصّ عليه القانون. وذكرت المحكمة

الأوروبية لحقوق الإنسان أن هذا الشرط لا يتحقق إلا عندما يكون القانون ممكنا الوصول إليه و"مصاغ بدقة كافية لتمكين المواطن من تنظيم سلوكه". ثانيا، يجب أن يتابع التدخل أحد الأهداف المشروعة المذكورة في الاتفاقية المعنية. وتشمل هذه الأهداف النظام العام والأمن القومي. وثالثا، يجب أن يكون التقييد ضروريا ومتناسبا لتحقيق الهدف المشروع. من الواضح أن مكافحة الإرهاب هدف مشروع، ولكن حينما يكون للتدابير تأثير مفرط على حرية التعبير، أو يمكن صياغتها على نحو أضيق ويبقى بالإمكان تحقيق الهدف، فإن هذه التدابير لا يمكن تبريرها (Mendel, 2003). كما قد نجد حالات لسنّ قوانين لها آثار على حرية التعبير، على غرار قانون باتريوت USA PATRIOT Act(والتسمية الكاملة لهذا القانون هي United and Strengthening America by Providing Appropriate Tools Required to Intercept and Obstruct Terrorism والذي يمكن ترجمته بـ"توحيد وتقوية أمريكا بتوفير الأدوات الملائمة المطلوبة لوقف وعرقلة الإرهاب").

3. التجربة الإعلامية الجزائرية في التعامل مع الإرهاب

على ضوء ما سبق، يبدو جليّا صعوبة التعامل الإعلامي مع الظاهرة الإرهابية لعدة أسباب، منها ما هو مفاهيمي من حيث إتيمولوجيا هذه الظاهرة وإشكالية تعريفها، ومنها ما هو أخلاقي وبالأخص العلاقة الحرجة بين حرية التعبير والوصول إلى المعلومة من جهة، والضرورة الأمنية وطبيعة الإرهاب الاتصالية من جهة أخرى.

ولا يمكن فصل الحالة الجزائرية عن هذه المعطيات، بل على العكس، يجدر بنا الإشارة إلى معطيات موضوعية أخرى، على رأسها حِدّة التهديد الإرهابي بالشكل الذي أعقب نهاية الحرب الباردة، والذي كانت الجزائر إحدى أولى ضحاياه في فترة التسعينيات التي اصطلح الجزائريون على تسميتها "العشرية السوداء".

وقد اخترنا هذه الفترة الزمنية بالذات، كونها فترة "الذروة" في التعامل مع الظاهرة الإرهابية. كما تجدر الإشارة إلى أن ظروف وأدوات العملية الاتصالية تغيّرت مذ ذاك، ونشير هنا إلى العمل بحالة الطوارئ، وكذا دخول وسائط الاتصال الحديث على غرار مواقع التواصل الاجتماعي في قلب العملية الاتصالية كفيل بأن يشكل لوحده موضوعا مستقلا للدراسة.

بالمقابل، عملت الخطط المعتمدة في الاستراتيجية الجزائرية لمواجهة الظاهرة الإرهابية في فترة تسعينيات القرن الماضي على استخدام وسائل الإعلام الجماهيري بشكل واسع (وبالأخص التلفزيون) لتوعية الجمهور بأخطار وأضرار الإرهاب وتقديم خطاب مضادّ للبروباغاندا التي اعتمدتها الجماعات المسلحة، أو حتى بعض القنوات الأجنبية حينذاك.

يتبين لنا من خلال مراسلة ما بين وزارية (غير موجهة للنشر) بين كل من وزير الداخلية والجماعات المحلية ووزير الثقافة والإعلام الجزائريْن، يتبين لنا بعض "ملامح" استراتيجية إعلامية وظفتها مؤسسات الدولة الجزائرية في حربها على الإرهاب (إفراح، 2015). وتنص هذه المراسلة على تكليف خلية اتصال بالعلاقات مع وسائل الإعلام، تختص بما يتعلق بالمعلومة الأمنية وتحرير ونشر البيانات الرسمية ذات العلاقة بالوضع الأمني. وتنفرد البيانات التي تحررها هذه الخلية بصفة الرسمية، وتُنشر حصريا بوكالة الأنباء الجزائرية. كما تلتزم وسائل الإعلام بأن لا تنشر سوى البيانات الرسمية والمعلومات الصادرة عن هذه الخلية في ندوات صحافية.

ومن التوصيات التي توجهها الوثيقة لوسائل الإعلام الوطنية، ضرورة اختيار الوقت المناسب لنشر المعلومة، لمواجهة الإشاعة والدعاية المعادية. كما تشير إلى ضرورة التقليل من الأثر البسيكولوجي الذي يتوقعه الإرهابيون، بالتقليل من شأن المعلومات حول العمليات الإرهابية وتفادي تضخيم تبعاتها، والتركيز على الأثر المعاكس لما يخطط له الإرهابيون: تفادي الارتباك والهلع، التحكم في النفس، والتصميم على تفادي الرضوخ أمام العنف (إفراح، 2015). وهذا يحيلنا إلى ما سبق ذكره عن العلاقة الوظيفية بين الإعلام والإرهاب، والرابط التعايشي بين الاثنين، وبنشر المعلومة، دون اللجوء إلى تضخيمها وإضفاء الطابع الدرامي عليها، كانت هذه السياسة ترمي إلى تجريد التنظيمات الإرهابية من بُعدها الاتصالي، طبعا دون أن نغفل عن معطى هامّ وهو غياب وسائل التواصل الحديث في تلك الفترة.

وكما رأينا سابقا، فإن إفشاء الذعر الذي يهدف إليه التنظيم الإرهابي، يعتمد على رغبة وسائل الإعلام في نشر الحدث الإرهابي. وفي هذا الصدد، تعتبر الوثيقة أن ضرورة إقصاء المعلومة الأمنية من مجال المنافسة بين أجهزة الإعلام يندرج ضمن

"قواعد أخلاقيات المهنة والدفاع عن المصالح العليا للأمة"، وفي نفس الإطار نجد أيضا استبعاد الأخبار الحصرية، والتكثيف الإعلامي وتضخيم الأحاسيس التي يمكن أن تخلفها العمليات الإرهابية.

أما فيما يتعلّق بإمكانية أن تتبنى وسائل الإعلام لغة ومفردات ورموز التنظيمات الإرهابية، وما لذلك من أثر على المتلقي، فإن خلية الإعلام المذكورة تتولى، حسب الوثيقة، إمداد أجهزة الإعلام بالمفاهيم والمصطلحات المعتمدة، تفاديا للترويج لمفاهيم التنظيمات الإرهابية.

من جهة أخرى، فإن نشر صور وخطابات قادة التنظيمات الإرهابية والمتطرفة قد يندرج أيضا ضمن الترويج لبروباغندا وإيديولوجيا هذه التنظيمات، وهو ما تنصّ المراسلة على ضرورة تفاديه. وعلى العكس تماما، تدعو الوثيقة إلى تحفيز ردود أفعال رافضة للإرهاب، بإظهار الطبيعة غير الإنسانية لممارسات للإرهابيين، وإبراز علاقة هؤلاء مع الخارج، وتنمية رد فعل جماعي للدفاع الذاتي، بإدخال نبذ الإرهاب في رد الفعل الجماعي، إلى جانب عمل وسائل الإعلام على أن تُظهر للإرهابيين بأن جرائمهم لن تغير شيئا في التطور الطبيعي للمجتمع، والسير العادي للمؤسسات (إفراح، 2015).

نحو استراتيجية تتأقلم والمتغيرات الجديدة: هذه الخطوط العريضة للتعامل مع حالة أمنية استثنائية في ظروف استثنائية أيضا، نجدها في قلب التعامل مع المعلومة الأمنية في فترة التسعينيات، في ظلّ معطيات معينة تختلف بشكل كبير مع الظروف الحالية، إلا أنّ جوهرها ما يزال صالحا إلى حد بعيد للتعبير عن طبيعة التعامل المتوخى مع المعلومة المتعلقة بالإرهاب.

ولكن مع تغيّر الظروف الأمنية، والمعطيات الداخلية والدولية، فإن ملامح هذه الاستراتيجية قد تغيّرت إلى حدّ بعيد. فثورة المعلومات والاتصالات التي حوّلت العالم إلى قرية صغيرة، تركت بصمتها على الشأن الأمني والعسكري، ومدارس الفكر الأمني والعسكري تبدي اهتماما متزايدا بثورة المعلومات وحرب الإعلام، و"تسطير الاستراتيجيات الإعلامية أصبح محورا رئيسيا لنشاط المؤسسات باختلاف طبيعتها ومهامها" (مجلة الجيش، 2013). وفي هذا السياق، عملت الجزائر على وضع استراتيجية إعلامية هدفها خدمة المقاربة الشاملة للعلاقة بين المؤسسة العسكرية والأمّة. وتعتبر

وسائل الإعلام شريكا في هذه الاستراتيجية، إذ أنها هي التي تربط المؤسسة العسكرية بمحيطها الخارجي، وتمكّنها من الدفاع عن مصداقيتها واعتماد الشفافية في التواصل. ولمواكبة هذه التطورات، خاصة في المشهد الإعلامي والمعلوماتي، لجأت وزارة الدفاع الوطني إلى وترقية مجلة "الجيش" لسان حال الجيش الوطني الشعبي، إلى مؤسسة للمنشورات العسكرية، وتحويل المركز التقني للإيصال والإعلام والتوجيه إلى مؤسسة عسكرية للإنتاج السمعي البصري، كما أنشأت الموقع الإلكتروني الخاص بها (مجلة الجيش، 2013). والملاحظ أنّ هذا الموقع الإلكتروني بات يوفّر المعلومات الأمنية المتعلقة بمكافحة الإرهاب، إن على الحدود أو داخل الإقليم، بطريقة آنية ما جعله مصدرا مباشرا ورئيسيا لهذا النوع من المعلومة لوسائل الإعلام الوطنية والأجنبية.

وإذا كانت هذه التدابير تندرج في إطار ما يُعرف بالإعلام الأمني، وتدلّ على محاولة للتأقلم والتكيّف مع التغيرات العميقة التي فرضتها العولمة، فإن التنظيمات الإرهابية قد استفادت هي الأخرى من الثورة التكنولوجية والاتصالية، ما يجعل لزاما تطوير المقاربات الأمنية لمواجهة مثل هذه التهديدات، والانتقال بمفهوم الأمن من منظوره التقليدي إلى الموسّع، وتعديل استراتيجيات مواجهة التهديدات الإرهابية وتكييفها، خصوصا وأن إحدى أهمّ الخصائص الواجب توفرها في الاستراتيجية الناجحة هي القدرة على التكيّف.

خاتمة

رأينا فيما سبق كيف أن الإرهاب مفهوم يبقى دون تعريف دقيق متفق عليه، وإن كانت الدارسون قد توصلوا إلى خصائص مشتركة بين التعريفات المختلفة. هذا التضخم الإتيمولوجي له عدة أسباب منها التوظيف السياسي للمفهوم، وكلما كانت المصالح السياسية متضاربة كلما كان التوظيفات والتعريفات متضاربة هي الأخرى. ولم تنجُ محاولات التصنيف والتوصّل إلى مسببات ودوافع وديناميات هذه الظاهرة من هذا التضارب، وهو ما أثّر بدوره على إمكانية الإحاطة بالمفهوم والتحكم به.

هذه الضبابية المحيطة بمفهوم الإرهاب، صعّبت من التعامل الإعلامي مع المعلومات المتعلقة به، صعوبة زاد من حدّتها الارتباط الوظيفي والعلاقة التعايشية بين الإعلام والإرهاب، خاصة وأن الظاهرة الإرهابية هي ظاهرة إعلامية بامتياز.

ولمّا كان الأمر يتعلّق بأرواح البشر، فإن التعامل الإعلامي مع الإرهاب يحمل فوق كلّ هذا حمولة أخلاقية ورمزية، وهنا تُطرح إشكالية أخرى هي المفاضلة بين قداسة حرية التعبير والرفض المطلق لأي شكل من أشكال الرقابة والتدخل المباشر في أجندات وسائل الإعلام، وبين أولوية المصلحة العليا وحماية الأمن القومي، وضرورة القبول بالتدابير الاستثنائية وتركيز المعلومة في مصدر محدد هو الجهات الأمنية المحاربة للإرهاب.

وللتجربة الجزائرية خصوصيتها، بالنظر إلى معطيات عدّة، تاريخية وسياسية وسوسيوثقافية. فقد وجد النظام الجزائري نفسه، تسعينيات القرن الماضي، في مواجهة شكل غير اعتيادي من التهديدات هو التهديد الإرهابي، في السنوات الأولى من التعددية الإعلامية التي أفرزت الكثير من المؤسسات الإعلامية الفتية التي كان عليها التعامل مع هذا التهديد، من حيث معالجة المعلومة وبثّها، في بيئة ميزتها الضبابية واللااستقرار، وبلغت استهداف الصحفيين في أرواحهم.

وهكذا تمّ اللجوء إلى تدابير استثنائية في ما يشبه مسار أمننة لمواجهة خطر وجودي يهدد الكيان المرجعي وهو الدولة، حسب رؤية باري بوزان وأولي ويفر. هذه التدابير، مكرّسة في حالة الطوارئ، نتج عنها تركيز المعلومة الأمنية في مصدرها والعمل على حرمان الحركات الإرهابية من الاستفادة من الجانب الإعلامي، وهو ما تدلّ عليه أهمّ ملامح الاستراتيجية الإعلامية.

ولكن انحسار الظاهرة الإرهابية في الجزائر وتغيّر الظروف الأمنية والسياسية رافقها تغيّر في التعامل مع المعلومة الأمنية. دون إغفال الثورة الرقمية، التي من أهمّ تجلياتها وسائل الاتصال الحديث، غيّرت معطيات التعامل الإعلامي مع الإرهاب الدولي والمعولم، ما يتطلّب إعادة النظر في استراتيجيات التعامل الإعلامي مع الظاهرة الإرهابية. فالإرهاب الدولي صار يتطلب استراتيجية شاملة، أمنية وإعلامية، ذات مستوى بين دولاتي للتعامل معه ومواجهته.

بمعنى آخر، فإن الظروف الأمنية هي التي تحدّد ملامح الاستراتيجية الإعلامية المتبعة، التي يجب أن تتأقلم مع المستجدات والمتغيرات.

بالمقابل، تفرض إشكالية حماية حرية التعبير العمل على مَرْكزَة الاستراتيجية الإعلامية في التعامل مع الإرهاب لا في مصدر المعلومة، ولا في المعلومة ذاتها، وإنما في ناقل المعلومة وهو الصحفي. وهنا يصير العمل على تكوين الصحفيين في هذا المجال، وتطوير فهمهم للظاهرة الإرهابية، أحد مفاتيح هذه الاستراتيجية، في إطار مقاربة الأمن الفكري، خاصة وأن الحرب على الإرهاب هي قبل كلّ شيء حرب رموز وأفكار.

المصادر والمراجع

- أديب خضور. (2009). *الإعلام والإرهاب: التغطية الإعلامية للعمليات الإرهابية*. دمشق: المكتبة الإعلامية.
- أسامة إفراح. (2015). أمننة الإرهاب كاستراتيجية لمواجهة التطرف. نموذج الجزائر 1991 – 2005. مذكرة ماجستير. جامعة الجزائر3.
- أندريا بريس، و بروس ويليامز. (2012). البيئة الإعلامية الجديدة. (شويكار زكي، المترجمون) القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع.
- حسنين المحمدي بوادي. (2007). الإرهاب الدولي تجريما ومكافحة. الإسكندرية: دار المطبوعات الجامعية.
- علاء الدين راشد. (2006). المشكلة في تعريف الإرهاب. دار النهضة العربية.
- مارتن غريفيثس، و تيري أوكالاهان. (2008). المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية. (مركز الخليج للأبحاث، المترجمون) دبي: مركز الخليج للأبحاث.
- مجلة الجيش. (أفريل, 2013). الإعلام والاتصال بمنظور العميد بوعلام مادي، مدير الإيصال والإعلام والتوجيه لوزارة الدفاع الوطني. الجيش(4/3)، صفحة 150.
- محمد مسعود قيراط. (2011). الإرهاب دراسة في البرامج الوطنية واستراتيجيات مكافحته مقاربة إعلامية. الرياض: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
- محمود عزت اللحام، ماهر عودة الشمايلة، و مصطفى يوسف كافي. (2015). الإعلام الأمني. عمّان، الأردن: دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع.
- معتز محيي عبدالحميد. (2014). الإرهاب وتجديد الفكر الأمني. عمّان، الأردن: دار زهران للنشر والتوزيع.
- مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة. (2009). دراسة حول تشريعات مكافحة الإرهاب في دول الخليج العربية واليمن. نيويورك.
- منصور لخضاري. (2014). تطور ظاهرة الإرهاب في الجزائر من الصعيد الوطني إلى الصعيد عبر الوطني. أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.
- Anderson, T. (1993). Terrorism and Censorship: The Media in Chains. Journal of International Affairs, 47(01), pp. 127-136.
- Berkouk, M. (2008). Terrorism, an Etymo-Epistemological Analysis. In W. Okumu, & A. Botha, Understanding Terrorism in Africa: Building Bridges and Overcoming the Gapes. Pretoria.

– Campbell, D. (1998). Writing Security: United States Foreign Policy and the Politics of Identity. University of Minnesota Press.

– Dayan, D. (2006). La Terreur Spectacle. Terrorisme et télévision. Louvain-la-Neuve, Belgique: De Boeck Supérieur.

– Fleming, M. (1980). Propaganda by the deed: Terrorism and anarchist theory in late nineteenth□century Europe. Terrorism, 4.

– Krause, K., & Williams, M. C. (1996, Oct). Broadening the Agenda of Sercurity Studies : Politics and Methods. Mershon International Studies Review, 40(02).

– Mannoni, P., & Bonardi, C. (2003). Terrorisme et mass médias. Topique(83).

– Mégie, A. (2010). La « scène terroriste » : réflexions théoriques autour de l'« ancien » et du « nouveau » terrorisme. Revue Canadienne de science politique, 43, pp. 983-1003.

– Mendel, T. (2003). Terrorist Attacks of 11 September: Consequences for Freedom of Expression. In S. T. Boafo, & S. Coudray (Ed.), Media, Violence and Terrorism. Paris: UNESCO.

– Schmid, A. P. (2011). The Routledge Handbook of Terrorism Research. New York: Routledge.

– Shahron G. Williams) .APRIL, 1981 .(The Generics of Terrorism: New Attributes for an Old Weapon .Peace Research.72-63 الصفحات ،(02)13 ،

– Turk, A. T. (2004). Sociology of Terrorism. Annual Review of Sociology, 30.

– Warren, C. (2003). Journalism and the War on Terrorism. In Media, Violence and Terrorism. UNESCO.

– Wilkinson, P. (2011). Terrorism Versus Democracy: The Liberal State Response (3 ed.). New York: Routledge.

– Williams, S. G. (1981, APRIL). The Generics of Terrorism: New Attributes for an Old Weapon. Peace Research, 13(02), pp. 63-72.